Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الناس ، والظهور أمامهم بمظهر التقى والورع وحب الله ورسوله في زمنٍ كان يستهوي الناس مثل هذا المظهر ويكبح من نقمتهم وسخطهم على الطبقة الحاكمة ، وإن ساءت تصرفاتها .

فإن سلم لي هذا الزعم فإنه يدل دلالة جلية لا شك فيها على المقياس الديني في بيئة الفكر العامة التي شاعت في ذلك العصر ، ومن ثم فإن هذا المقياس سيرتبط بشكل أو بآخر بمفاهيم النقد ومقاييسه السائدة عصرئذٍ . ولذلك ، فلعل بعضنا اليوم ينظر إلى (البديعيات) على أنها « منذ ولدت إلى أن قضت ، صناعة من العبث أضعفت من الشعر ، وهدت من قوته ، وأزرت من مكانته ، وأوردته موارد التكلف والتعمل الثقيل »[1] ، ذلك لأن مفاهيمنا اليوم غير مفاهيمهم ، وطرقنا في الحياة تختلف عنها في أيامهم ، ونظرتنا الذوقية ـ وإن كانت امتداداً لموروث ثقافي وبيئي واحد ـ فإنها تختلف الآن عما هي عليه قبل وقت ، ولذلك فإن أحكامنا على الأشياء تختلف عن أحكامهم ، وما نقبله أو نرفضه لا يعني بالضرورة التطابق مع عصرٍ مضى ، بل أكثر من هذا ، ربما اضطر من يقول هذا الكلام إلى التراجع عنه بل إلى نقيضه تماماً ـ شاء أو أبى ـ لو عادت به الأيام وقُيّض له أن يكون في زمن أصحاب (البديعيات) . ولذلك فنحن نجد أن هذه (البديعيات) قد وافقت بيئتها من جهتين على الأقل :

أولاهما : الحس الديني الذي كان يسيطر على جميع طبقات الشعب .

وثانيتهما : الذوق العام المائل إلى الزخرفة والتنميق في كل شيء : في البنيان ، واللباس ، والرتب ، والتقاليد ، وغير ذلك . فإن في (البديعيات) عامة ، وفي الأنواع البديعية المستحدثة خاصة ما يمثل الميل الذوقي هذا نحو الزخرفة ، ولو شاء فنان أن يطلع على الملامح الفنية في ذلك العصر ويقارنها مع

---

(١) الصبغ البديعي ، ص : ٣٧٢ .